

روح المعاني

وحدثوهم كما يقال أحمد إليك فلانا وأذمه إليك مما لا ينبغي أن يخرج عليه كلام رب العزة وإن ذكره الزمخشري والبيضاوي وغيرهما إذ لم يقع صريحا خلا بمعنى سخر في كلام من يوثق به وقولهم : خلا فلان بعرض فلان يعبث به ليس بالصريح إذ يجوز أن يكون خلا على حقيقته أو بمعنى تمكن منه على ما قيل والدال على السخرية يعبث به وزعم النضر بن شميل أن إلى هنا بمعنى مع ولا دليل عليه كالقول بأنها بمعنى الباء على أن سيويه والخليل لا يقولان بنيابة الحرف عن الحرف نعم إن الخلوة كما في التاج تستعمل إلى والباء ومع بمعنى واحد ويفهم من كلام الراغب أن أصل معنى الخلو فراغ المكان والحيز عن شاغل وكذا الزمان وليس بمعنى المضي وإذا أريد به ذلك كان مجازا وظاهر كلام غيره أنه حقيقة .

وضعيان يغلبان قويا .

والمراد بـ شياطينهم من كانوا يأمرؤنهم بالتكذيب من اليهود كما قاله ابن عباس وأكهنهم كما قاله الضحاك وجماعة وسموا بذلك لتمردهم وتحسينهم القبيح وتقبيحهم الحسن أو لأن قرناءهم الشياطين إن فسروا بالكهنة وكان على عهده صلى الله عليه وسلم كثير منهم ككعب بن الأشرف من بني قريظة وأبي بردة من بني أسلم وعبدالدار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وابن السوداء في الشام .

وحمله على شياطين الجن كما قاله الكلبي مما لا يختلج بقلبي والشياطين جمع تكسير وإجراؤه مجرى الصحيح كما في بعض الشواذ تنزلت به الشياطين لغة غريبة جدا والمفرد شيطان وهو فيعال عند البصريين فنونه أصلية من شطن أي بعد لبعده عن إمتثال الأمر ويدل عليه تشيطن وإلا لسقطت وإحتمال أخذه من الشيطان لا من أصله على أن المعنى فعل فعله خلاف الظاهر وعند الكوفيين وزنه فعلا فنونه زائدة من شاط يشيط إذا هلك أو بطل أو أحترق غضبا والأنثى شيطانة وأنشد في البحر هي البازل الكوماء لا شيء غيرها وشيطانة قد جن منها جفونها وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الشيطان كل متمرّد من الجن والإنس والدواب .

قالوا إنا معكم أي معية معنوية وهي مساواتهم لهم في إعتقاد اليهودية وهو أم الخبائث وأتى بالجملة الفعلية الدالة على الحدث مع ترك التأكيد فيما ألقى على المؤمنين المنكرين لما هم عليه أو المتمردين وبالجملة الثبوتية مع التأكيد فيما ألقى إلى شياطينهم الذين ليسوا كذلك لأنهم في الأول بصدّد دعوى إحداه الإيمان ولم ينظروا هنا لإنكار أحد وتردده إياها ما منهم أنهم بمرتبة لا ينبغي أن يتردد في إيمانهم ليؤكدوا لعله أن يتم لهم مرامهم بذلك في زعمهم وفي الثاني بصدّد إفادة الثبات دفعا لما يختلج بخواطر

شياطينهم من مخالطة المؤمنين ومخاطبتهم بالإيمان وقيل : إن التأكيد كما يكون لأزالة الإنكار والشك يكون لصدق الرغبة وتركه كما يكون لعدم ذلك يكون لعدم إعتناء المتكلم فللرغبة أكدوا ولعدمها تركوا أو لأنهم لو قالوا إنا مؤمنون كان إدعاء لكمال الإيمان وثباته وهو لا يروج عند المؤمنين مع ما هم عليه من الرزانة وحدة الذكاء ولا كذلك شياطينهم وعندي أن الوجه هو الأول إذ يرد على الأخيرين قوله تعالى فيما حكى عنهم : نشهد أنك لرسول الله ﷺ إلا أن يقال إنهم أظهروا الرغبة هناك وتبالهوا عن عدم الرواج لغرض ما من الأغراض والأحوال شتى والعوارض كثيرة ولهذا قيل : إنهم للتقية والخداع ودعوى أنهم مثل المؤمنين في الإيمان نلجروا عليهم أحكامهم ويعفوهم عن المحاربة أكدوا بالباء فيما تقدم حيث قالوا يا ﷺ واليوم الآخر والقول بأن الفرق بين آية الشهادة وآية الإيمان هنا ظاهر لأنهم لو قالوا إنا لمؤمنون لكانوا ملتزمين أمرين رسالته صلى الله عليه وسلم ووجوب إيمانهم به بخلاف آية الشهادة فإن فيها إلزام الأول ولا يلزم من عدم الرغبة في أمرين عدمها في أحدهما ظاهر الركافة للمنصفين كما لا يخفى وقرأ